المحاضرة الأولى:(الأسلوب والأسلوبية):
الجزء الأول: الأسلوب(مفهومه ومرجعياته)
د. رشيد بديدة
محاضرات موجهة إلى طلبة السنة ثانية دراسات أدبية ونقدية

تمهيد:

يمكن القول أن الدراسة الأدبية كانت قبل ظهور الأسلوبية أو علم الأسلوب عبارة عن قوالب أو مقاييس نقدية جاهزة يطبقها الناقد على النصوص الشعرية والنثرية؛ فما وافق تلكم المقاييس كانت نصا فنيا، وما خرج عنها فقد خرج عن جادة الصواب الفني، ولعل أسواق الشعر في الجاهلية عند العرب، والدراسات الأدبية العربية القديمة بشكل عام خير مثال على ذلك.

ليأتي النقد المعاصر ومن بينه النقد الأسلوبي (عند من يجعل الأسلوبية ضمن النقد) معلنا أن النص الفني نص متحرر بعيد عن كل مقياس، بل هو الذي يفرض مقاييسه الخاصة به، فالمقياس لاحق لعملية الإبداع لا سابق لها.

الأسلوبية: المصطلح والمفهوم:

الأسلوبية أو علم الأسلوب مصطلح مركب من لفظ (الأسلوب) واللاحقة(ية) أو من (علم) و (الأسلوب). فما دلالة الأول؟ وما علاقته بالثاني؟

أولا: مصطلح الأسلوب ومفهومه:

1-الأسلوب في اللغة: ورد في لسان العرب:(ويقال للسَّطْر من النخيل أُسْلوبٌ وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أُسلوبٌ قال والأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ يقال أَنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ ويُجمَعُ أَسالِيبَ والأُسْلُوبُ الطريقُ تأْخذ فيه والأُسْلوبُ بالضم الفَنُّ يقال أَخَذ فلانٌ في أَسالِيبَ من القول أَي أَفانِينَ منه وإِنَّ أَنْفَه لفي أُسْلُوبٍ إِذا كان مُتكبِّراً).

2-الأسلوب في الاصطلاح: تعود تعريفات الأسلوب في الاصطلاح في مجملها إلى ثلاثة عناصر تمثل أقطاب التواصل الأساسية، وهي :(**المُرسِل، الرسالة، المرسل إليه**).

2-1-التعريفات التي تستند إلى المُرسِل: وخلاصة رأيها أن الأسلوب انعكاس لشخصية المُرسِل:

من التعريفات التي تستند إلى المرسل في تعريفها للأسلوب (تعريف الأسلوب بأنه قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه). ومعنى ذلك أن الرسالة اللسانية انعكاس للأسلوب وما الأخير إلا انعكاس لنمط التفكير لدى الباث أو المتكلم.

يقول أحمد الشايب :(الصورة اللفظية التي هي أول ما يلقى من الكلام لا يمكن أن تحيا مستقلة ، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر، إلى نظام آخر معنوي انتظم وتألف في نفس الكاتب أو المتكلم فكان بذلك أسلوبا معنويا، ثم تكون التأليف اللفظي على مثاله وصار ثوبه الذي لبسه أو جسمه إذا كان المعنى هو الروح) ؛ فاللفظ لاحق لشيء سابق هو المعنى فـــ(الأسلوب معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظا متسقة، وهو يكون في العقل قبل أن يجري به اللسان أو يجري به القلم) ؛ فالأسلوب ليس تلك الألفاظ الشكلية الخارجية بل هي تلك المعاني التي تصاغ في الداخل قبل أن تغطى في الخارج باللغة التي مهمتها توصيل تلك المعاني إلى المتلقي.

إذن فـــ(كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته). فهو بذلك (لوحة الإسقاط الكاشفة لشخصية الإنسان لمخبئًات شخصية الإنسان ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، ما صرح به وما ضمن، فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه من حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته لا الفنية فحسب بل الوجودية مطلقا).

مميزات الأسلوب حسب هذا التوجه:

- ✓ **الثبات:** يقول بوفون:(إن من الهين أن تنتزع المعارف والأحداث والمكتشفات أو أن تبدل، بل كثيرا ما تترقى إذا ما عالجها من هو أكثر مهارة من صاحبها: كل تلك الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان، أم

الأسلوب فهو الإنسان عينه، لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه). ومرد ذلك الثبات في أسلوب الإنسان راجع في الأصل إلى عنصريين هما ما يتحكم في الأسلوب:

الاستعداد الفطري: ويمثل الصفات الوراثية التي انتقلت إلى الفرد عن طريق آبائه.

المكتسبات الثقافية: وهو ما اكتسبه الفرد من خبرات بعد الولادة، ويمكن أن يضاف إلى ذلك حتى الطبيعة الجغرافية(سهلة-صعبة، حارة- باردة، صحراوية-جبلية...)

فالأسلوب على حد وصف بعضهم (خاصية طبيعية يوهب الإنسان إياها، هو نغم شخصيته على حد تشبيه كلودال، مثلما لصوته نبرة لا تختلط بنبرة أصوات الآخرين) ، وينبغي التنبيه إلى إن السلطة المفروضة على الإنسان من طرف مكوناته الثقافية لا تقل قوة عما ورثه الإنسان من مكونات جينية.

- ✓ **التلقائية:** تبعا للميزة السابقة، أي ميزة الثبات الناتجة عن ضغط العاملين الوراثي والثقافي، تظهر هذه الميزة، فأسلوب الفرد ما هو ضغط قسري للعاملين المذكورين.

وقبل أن نغلق هذا المبحث نتساءل: هل معنى كل ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يتحكم في أسلوبه؟ هل المقامات المتعددة استناد لما ذكر: تنتج مقالات واحدة: بمعنى: هل من المعقول تختلف السياقات والأحداث ومع ذلك لا نجد أي اختلاف في الأسلوب؟ هل الأسلوب هو الرجل نفسه كما قال بوفون، أم هو النص نفسه، فإذا سلمنا بالرأي الأخير مع التذكير بصفة الثبات والتكرار التي تميز الأسلوب نتساءل مرة أخرى: هل بقي وجود للأسلوب إذ كان الأخير متغيرا متبدلا مع النص؟

2-2-التعريفات التي تستند إلى **الرسالة**: وخلاصة رأيها أن الأسلوب ما هو إلا تلك التشكيلات اللغوية المنحرفة عن الاستعمال العادي للغة بمعزل عن شخصية **المرسل** و**المُرسِل إليه**.

وهذا التوجه هو في الحقيقة نتج كرد فعل على الاتجاه السابق الذي حول اللغة المحللة عبارة عن سيرة ذاتية للمنشئ، فاللغة حسب هذا التوجه قادرة على التحدث عن نفسها، والتعبير عنها، بما لها من بنى أو بنيات داخلية، دون الحاجة إلى أي عنصر خارجي، فالموضوعية العلمية حسبهم تقتضي الانطلاق من الموضوع ولا غيره، وهو هنا النص، فأي عنصر خارج عنه هو إقحام لشيء دخيل ولا يدخل فيه.

وهذا التوجه يعود إلى مدرستين حداثيتين تقتربان من بعضهما في التوجه، هما المدرسة الشكلانية الروسية، والمدرسة البنيوية، كما يضيف بعضهم مدرسة أخرى تسمى مدرسة النقد الجديد. وهذه المدارس تقصي من دراستهما كل سياق خارج عن البنية الداخلية للنص.

فالبنيوية مثلا تنطلق في نقدها للأدب من المُسَلَّمة القائلة : إنّ البنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى عناصر غريبة عنها وعن طبيعتها. وتبعا للخصيصة السابقة تتمتع البنية بخاصية التحول بمعنى أن هناك قانونا داخليا يقوم بالتغيرات داخل البنية التي لا تبقى في حالة ثابتة فهي دائمة التغير.

وتبعا لكل ما سبق وكخلاصة فالبنية أيضا تتمتع بخاصية التنظيم الذاتي إذ يمكنها تنظيم ذاتها بذاتها لتحافظ على وحدتها واستمراريتها، يقول بياجي:(إن أي بنية باستطاعتها ضبط نفسها ضبطا ذاتيا يؤدي للحفاظ عليها).

يقول المسدي:(فإذا كان الأسلوب في فرضية المخاطِب صفيحة الانعكاس لأشعة الباث فكرا وشخصية، وكان في فرضية المخاطَب رسالة مغلقة لا تفض جدارها إلا يدا من أرسلت إليه، فإنه في فرضية الخطاب موجود في ذاته يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه ومحتضنه لا شك، ولكن دون أن تعلق ماهيته على أحد منهما، وصورة ذلك أن النص إن كان وليدا لصاحبه فإن الأسلوب وليد النص ذاته، لذلك يستطيع الأسلوب أن ينفصل عن المؤلف المخاطب لأن رابطة الرحم بينهما حضورية في لحظتي الإبداع).

هذه المفاهيم للأسلوب تستمد مشروعيتها من القناعة التي ترى بأن النص ما هو إلا بنية لها علاقاتها الخاصة التي تنتج جراء تقاطع الدوال بالمدلولات في شكل ما، وذلك ما ينتج البنية النوعية للنص وهي ذاتها أسلوبه.

لهذا عرف هيل الأسلوب بأنه:(الرسالة التي تحملها العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية لا في مستوى الجملة وإنما في مستوى أوسع منهما كالنص أو الكلام).

ومن التعريفات التي تستند على المستند السابق تعريف جاكبسون النص الأدبي(بكونه خطابا تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، لذا كان النص خطابا تركب في ذاته ولذاته)

كما يرى ستاروبنسكي (بأن الأسلوب مسبار القانون المنظم للعالم الداخلي في النص الأدبي).

2-3-التعريفات التي تستند إلى **المُرسِل إليه**: وخلاصة رأيها أن الأسلوب انعكاس لردود أفعال **المُرسِل إليه**، فإذا كان الأسلوب في المنحى الأول معتمدا على مقاصد المتكلم وثقافته وفلسفته في الحياة، وإن كان في المنحى الثاني تلك العلاقات والظواهر اللغوية المغلقة المنفصلة عن كل من المتكلم والمخاطب، فهي في هذا المنحى الأخير أكثر اعتدالا، فلا هي جعلت الأسلوب ملكا للمتكلم ولا هي جعلته طاقة أو شكلا لغويا معزولا عن كل من المتكلم والمخاطب.

فهذا الاتجاه جعل الأسلوب صناعة مشتركة بين أقطاب التواصل الثلاث(المتكلم، الرسالة، المخاطب)ن ولو أنهم يميلون إلى عد الأسلوب مادة مغلقة لا يملك مفتاحها إلا المتلقي؟

والمنشئ حسب المسدي استنادا إلى التجربة يكيف صيغة خطابه حسب أصناف الذين يخاطبهم، وهو يرى أن هذا التكيف ليس اصطناعيا بل هو عفوي قلما يصحبه الوعي المدرك، وعلى هذا فالواحد منا يخاطب الصغير بغير خطاب الكبير، وتجدنا نضع خطابا للمرأة يخالف ما يخاطب به الرجال بعضهم بعضا، كما تجد المرء يخاطب الناس بحسب منازلهم في المجتمع وتقديرات سلم القيم فيه.(المسدي، ص80).

فانعكاس صورة المتلقي في الخطاب تعلم علم الضرورة،(المسدي،ص80)، فالمنشئ أو المرسل عند صنع خطابه لا يسعه ألا أن يتخيل مرسلا إليه يوجه إليه كلامه ولو افتراضيا، وقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين كلاما لبشر بن المعتمر مؤكدا ما ذكرناه حيث يقول**:** (ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات)(البيان والتبيين، ج1،ص87-88).

واللغويين -كما يقول المسدي- يعللون ذلك برغبة الباث أو المتكلم –سواء كان خطابه مشافهة أو كتابة- في حمل المخاطَب لا على فهم مضمون رسالته الدلالية فحسب، بل على تقمص ثوب التجربة المنقولة عبر الخطاب كذلك.(المسدي، ص81).

وذلك المتلقي الهدف لا يمكن البلوغ إليه إلا باستفزازه عن طريق اصطباغ الخطاب بألوان ريشة الأسلوب، بحيث يحرك الأخير نوازع وردود فعل ما كان لها أن تظهر بمجرد مضمون الرسالة الدلالية. (المسدي، ص82).

وستاندال يؤكد ذلك حين (يشير إلى أن جوهر الأسلوب كامن فيما تضفيه على الفكر بما يحقق كل التأثير الذي صيغت من أجله)(المسدي،ص82).

ويوافقه فلوبير أيضا، ليعرف الأسلوب بأنه سهم يرافق الفكرة ويخز متقبلها)(المسدي82).

وقيرو برى أن (الأسلوب مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل بفضلها إلى إقناع القارئ وامتاعه وشد انتباهه وإثارة خياله)(المسدي،ص83، عن الأسلوبية لقيرو، ص11).

أما الذي طور هذا التعريف واقترب به من الموضوعية فهو ريفاتير حين يحدد الأسلوب اعتمادا على أثر الكلام في المتقبِل فيعرفه بأنه إبراز بعض عناصر الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوه النص وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة، مما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر والأسلوب يبرز.(المسدي، ص83).

والقارئ الذي يرتضيه ريفاتير ليس كل قارئ، بل يجب أن يكون قارئا مخبرا(المسدي،ص84) يمكنه أن يتمثل النص من جديد أداء وثقافة.

لقد كان دخول القارئ أو المتلقي كعنصر أساسي بل وضروري في العملية التواصلية أثر هام هام في تحديد موضوع الأسلوب حتى لأصبح ظهور الأسلوب مقرونا به: يقول المسدي:(فلا شك إذن أن دخول عنصر المتقبِل في جدل التنظير والتحديد قد أكسب النظرية الأسلوبية ثراء في تعريف موضوعها وهو الأسلوب، وذلك أن فرضية المخاطَب في قراءة ماهيات الأسلوب تقوم نقضا للمبدأ الأنتولوجي المطلق واعتراضا على أبدية الانتساب بين الباث وملفوظه، وهي للعلة نفسها تفصم عرى الرحم بين الوالد والمولود، فإذا بماهية الأسلوب وفقا لمنظور نظرية المخاطَب موجود مائع ومفروض معلق لا يتنزل ولا يتنزل إلا بإصابة الخطاب مرماه في نفس المتقبِل).

ويواصل المسدي إثبات هذه النظرية والتأصيل لها فيقول:(ولهذه التقديرات أبعادها الأصولية، وأبرزها أن لا نص بدون قارئ، ولا خطاب بلا سامع، وحتمي أن نقر أن الملفوظ يظل موجودا...ولا يخرجه إلى حيز الفعل إلا متلقيه، وهذا التلقي هو بمثابة انقداح شرارة الوجود للنص ولماهية الأسلوب الذي لا يبقى له من تعريف إلا كونه كائنا منشودا منذ لحظة النشأة إلى حيث يستهلك...فقراءته تبشير بولادته) (المسدي،ص87.).

والأسئلة المطروحة بعد كل ذلك:

- ✓ كيف يمكن للكلام أن يستفز المتلقي، ويؤثر فيه بعد تلون الخطاب بريشة الأسلوب كما ذكر المسدي؟
- ✓ كيف تكون عملية الإضافة على الفكر التي ذكرها ستاندال؟
- ✓ ما كيفية السهم الذي ذكره فلوبير الذي يرافق الفكرة ويخز متقبلها؟
- ✓ كيف يمكن للخطاب أن يكون مصطبغا بحيث يشكل عامل إقناع وامتاع وإثارة للقارئ كما ذكر قيرو؟
- ✓ كيف يمكن التأثير في القارئ وحمله على الانتباه لبعض عناصر الكلام كما ذكر ريفاتير؟

إن استفزاز المتلقي الذي ذكره **المسدي**، وعملية الإضافة التي ذكرها **ستاندال**، والسهم الذي أشار إليه **فلوبير**، والاصطباغ الذي تكلم عنه **قيرو**، يتأتى عندما يتجاوز الخطاب دائرة الإبلاغ إلى دائرة أخرى تسمى دائرة التأثير والانفعال.

إن الخطاب في الدائرة الأولى يكون ذو مظهر استعمالي نفعي مهمته الوحيدة التوصيل الآمن للرسالة بشروطها اللغوية المتواضع عليها، حيث يحافظ المرسِل في هذا المستوى على القواعد اللغوية بما فيها ضمان أمن اللبس والوضوح الدلالي. ورولان بارت يضع هذه الدائرة في مستوى دلالي سماه الدرجة الصفر للكتابة.

أما الدائرة الثانية ففيها يتجاوز الخطاب عتبة التوصيل إلى مستوى التأثير في المتلقي وعواطفه إعجابا أو دهشة أو غضبا أو حزنا أو غيره...

وهذا المستوى الأخير لا يمكن الوصول إليه كما قال المسدي عن طريق الشكل الدلالي للخطاب، بل بطرق أخرى لعل من أهمها أسلوب أو طريقة الانزياح الذي يمكنه أن يخلق نوعا من المفاجأة التي تخلق بدورها نوعا من الانتباه للشكل اللغوي الجديد بخلاف الشكل العادي الذي قد لا ينتبه إليه المتلقي بسبب عامل الألفة الذي يجعل عملية التلقي آلية روتينية خالية من أي شعور.

المحاضرة الثالثة: الأسلوبية: مفهومها وظهورها

د. رشيد يدية

1 مصطلحات الأسلوبية:

الأسلوبية مصطلح مركب من لفظين: الأول لفظ (الأسلوب)، والثاني اللاحقة اللفظية (ية)، ويقصد بها علم الأسلوب، فالمصطلح الأول الذي هو الأسلوبية جاءت تسميته على نمط علوم أخرى كالتفكيكية والسيميائية، مع ملاحظة أن الأسلوبية سبق منعا في الظهور، وإنما كان منا هنا عن المصطلح الشائع والمرتضى من طرف أهل الاختصاص.

وأما المصطلح الثاني فقد جاء بسيطا أو أقرب إلى الصياغة العربية وقد نسج على منوال علم اللسان، علم النفس، علم الاجتماع، ومنا من اقترح مصطلحا آخر هو الأسلوبيات، وقد نادى بهذه التسمية الأستاذ سعد مصلوح وقد علل ذلك بأنه قد صيغ على منوال العلوم الحديثة كالرياضيات..

2- تعريفات الأسلوبية والظهور التاريخي:

أطلق مصطلح الأسلوبية سنة 1875 من قبل اللغوي "هون دريالشتر" وقد أطلقه على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية.

ويرى أغلب مؤرخي هذا العلم أن شارل بالي هو أول من أصل علم الأسلوب سنة 1902 وأسس قواعده النهائية، متأثرا بأستاذه دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة، وعلم الأسلوب حسب بالي يدرس العناصر التعبيرية للغة المنظمة من وجهة نظر محتواها التعبيري والتأثيري.

وبعد بالي جاء ماروزو وكراسو، ونادى كل منهما بشرعية

الأسلوبية ومدارسها العالمية مقوماتها، وأدواتها الإجرائية وموضوعها، وقد دعم ذلك باحثين آخرين نذكر منهم جاكبسون وميشال ريفاتير، ستيفن أولمان، باحثين.

تعريفات الأسلوبية:

عرفت الأسلوبية تعريفات عدة تقترب من بعضها بعضا، وقد مر بنا في الفقرة السابقة في معرض الظهور التاريخي للأسلوبية أن بالي عرفها بأنها "دراسة العناصر التعبيرية للغة المنظمة من وجهة نظر محتواها التعبيري والتأثيري، أو اللغوي والعاطفي الوجداني، حيث أن اللغة حسب شارل بالي حين تحولها إلى خطاب قد تتقوم بوظيفتين، قد تكونان معا وقد تنفصلان؛ فاللغة عنده فكر وعاطفة فإذا أراد المتكلم التوصيل الصرف، استخدم جانبها الفكري، وإذا أراد التعبير عن شعوره ووجدانه أضاف إلى الوجه السابق، وجها آخر سمي الوجه العاطفي. وسنفصل في ذلك في المحاضرة الموالية.

كما عرفت الأسلوبية بأنها "علم وصفي يعنى ببحث الخصائص والسمات التي تعين النص الأدبي بطريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأدبية.

ومن منطلق البحث عن الشعرية في النص الأدبي يعرفها رومان جاكبسون بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر أصناف العلوم الإنسانية ثانيا.

أما ريفاتير فيعرفها بأنها "علم يعنى بدراسة أسلوب الآثار الأدبية دراسة موضوعية تنطلق من اعتبار النص الأدبي

بنية لسانية أو لغوية، وأن الأسلوبية تعنى بالنص في حد ذاته بمعزل عن كل ما يتجاوزه من اعتبارات تاريخية أو اجتماعية أو نفسية، وهي تهدف إلى تمكين القارئ من إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني إدراكا نقديا واعيا، حيث تقوم الأسلوبية حسبه بالربط بين الشكل اللغوي وشكله الجمالي.

وغاية الأسلوبية حسب رفاتير تخليص النقد الأدبي من المقاييس الانطباعية والجمالية، لأنها مقاييس معيارية تستند إلى أحكام قبلية، وأما ارتباط الأسلوبية باللسانيات، فهو ارتباط السبب بالنتيجة.

إذن فالنقد الأسلوبي هو دراسة العلاقة المتكيفة في النص الأدبي بين شكله اللساني وشكله الجمالي الكلي؛ إذ لابد من علاقة مفترضة بين الشكلين اللساني والجمالي.

فالتحليل أو الوصف اللساني يعد هنا ضرورة لأي بيان مقنع حول الشكل الجمالي.

وخلاصة القول أن البحث الأسلوبي يتخذ بالأساس لغة النص مدخلا رئيسيا له، إذ تتفق كل الاتجاهات الأسلوبية على أن المدخل في أي دراسة أسلوبية ينبغي أن يكون لغويا، فالأسلوبية تعنى بدراسة نص الخطاب الأدبي من منطلق لغوي.

فالشكل موضوع مهم في الدراسات البنائية الحديثة، وما الأدب إلا عناصر تتضافر لتخلق الجمال، وما اللغة إلا الظاهرة

الشكلية الوحيدة التي تتيح لنا أن نتعرف على الأدب الذي لا يتحقق إلا بها و فيها.

إذ فالتحليل الأسلوبي يجب عليه أن يبقى ويقوة في وسط الأشكال والمكونات اللغوية والدلالية الإيحائية، فتلك المادة التي يجب دراستها كما يرى جورج مولينيه.

فالأسلوبية تدرس كل ملمح من ملامح النص اللغوية؛ من أصوات وصيغ صرفية، وتراكيب وكلمات وصور، فتستفيد من علم الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم والبلاغة والعروض والقوافي وذلك للكشف عن جميع سمات الأسلوب في نص معين.

المحاضرة الرابعة

الأسلوبية التعبيرية

د. رشيد بديدة

موجهة إلى طلبة السنة الثانية

دراسات أدبية ونقدية.

1) تمهيد:

الأسلوبية التعبيرية اتجاه يطلق على المدرسة الأسلوبية التي يتزعمها مؤسس علم الأسلوب اللغوي الفرنسي شارل بالي (1865-1947) بدأ شارل بالي في التأسيس لهذه المدرسة من خلال كتابيه: (في الأسلوبية الفرنسية 1902) و (المجمل في الأسلوبية 1905)

2) الخلفية الفكرية واللسانية:

يعد شارل بالي مؤسس هذه المدرسة من أبرز تلاميذي سوسير مؤسس علم اللسان الحديث، ولعل وصف الأسلوبية أو بالأحرى أسلوبية بالي بابنة اللسانيات لخير دليل على ذلك؛ حيث تأثرت الأسلوبية بشكل عام و التعبيرية بشكل خاص بما ظهر وتأسس من مبادئ وأفكار في اللسانيات، من ذلك نذكر:

2-1- اللغة والكلام:

فاللغة كما في قولنا: اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، الصينية وهي ذلك النظام الذهني المجرد، أو هي ذلك النظام الموجود في أدمغة أعضاء المجتمع الذين يستخدمون لغة معينة، وهذا النظام لا يملكه الفرد الواحد، وإنما هو أمر جماعي، يشترك في استعماله وضبط نظامه جميع أفراد الجماعة، وعلى ذلك الأساس يمكن أن تدرس اللغة دراسة علمية، من حيث إمكانية إخضاع ظواهرها للتصنيف والتعميم، والوصول إلى العلاقات الداخلية بينيتها.

أما الكلام فهو ذلك النشاط الفردي الذي يقوم به عضو المجتمع اللغوي، معتمدا على الاختيارات و البدائل الممكنة المقدمة من طرف اللغة، و لأن الكلام مرتبط بالاستعمال الفردي، فإنه عند دي سوسير يعد مظهرا متشعبا، متنافر المقومات، و هو بالتالي لا يمكنه أن يخضع للدراسة العلمية، و بالتالي تبقى اللغة الموضوع الوحيد للسانيات.

2 - 2 - المحور الأفقي و المحور العمودي (النظمي × الاستبدالي):

هذه الثنائية تختص بتحديد العلاقات القائمة بين وحدات النظام اللغوي أفقيا و عموديا، و لعلها الثنائية التي بواسطتها يتحول اللغة إلى كلام حسي مادي، و ذلك نتيجة عملية الإسقاط التي يقوم بها المتكلم للمحور العمودي على المحور الأفقي، فتنتج حينئذ الجملة.

- المحور الأفقي: هو المحور المرئي الحاضر للوحدات اللغوية من أصوات و صيغ صرفية و نحوية و معجمية التي تم اختيارها من طرف المتكلم، و هذه الوحدات المختارة تنشأ بينها علاقات أفقية تقوم على مبدأ التوافق أو التبعية، فمثلا إذا تم اختيار الفعل (افترس) مثلا فالفاعل لا يمكن أن يكون إنسانا أو جمادا، هذا من الناحية الدلالية، و مثلا لو اخترق زمان الماضي و قلت شربت، فلا يجب أن تأتي وحدة في الجملة تناقضها، فتقول مثلا: شربت الماء غدا، فهنا لدينا علاقة أفقية تحكم الجملة و تعاد على مبدأ التوافق.

- المحور العمودي: مهمة هذا المحور توفير البدائل اللغوية الممكنة للمتكلم: صوتيا، و صرفيا و نحويا و معجميا، و هذه البدائل التي ذكرناها ليست ماثلة في الشكل اللغوي الظاهر، إنما هي كامنة في اللا

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن هذه العلاقة لا تخضع لنظام معين، فهي غالبا ما تتسم بطبيعة فردية، نظرا لما يحيط بعملية الاختيار أو الاستدعاء من عوامل نفسية أو اجتماعية.

3- شارل بالي ودراسته للأسلوب:

ينقسم الخطاب اللغوي عند شارل بالي إلى نوعين:

1- ما هو حامل لذاته فقط

2- ما هو حامل ومشحون بمختلف العواطف والانفعالات، فالمتكلم في منظور بالي قد يضفي على خطابه صبغة موضوعية مطابقة للواقع بيد أنه في أغلب الأحيان يشحن كلامه بكثافات متنوعة- بناء وجدانية تكشف عن حالته النفسية وموقفه، وقد تغيرها ظروفه اجتماعية مردها حضور أشخاص آخرين، أو استحضار خيال المتكلم لهم، يقول بالي في هذا الشأن: «.. فاللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجها فكريا، ووجها عاطفيا، ويتفاوت الوجهان كثافة بحسب للمتكلم من استعداد فطري، وبحسب وسطه الاجتماعي، والحالة التي يكون فيها».

فالمتكلم حسب بالي- يمكنه أن يعبر عن موقف واحد بعبارات متعددة، وكل تعبير يحمل شحنة عاطفية ما تابعة كما ذكرنا للاستعداد الفطري له، وتابعة أيضا لما يحيط به من وسط، فالتعبير عن الشكر والامتنان- يمكنه أن يكون بالأشكال التعبيرية التالية: شكرا جزيلا.

لكم مني خالص الشكر والتقدير

كما أنا ممتن لكم

لقد غمرتني أفضالكم

جميلكم لا ينسى

أنا مدين لكم

فكل صيغة من هذه الصيغ التعبيرية محملة بشحنات وجدانية بكثافات متفاوتة، مع أن الفكرة المعبر عنها واحدة.

4- تسميات لمدرسة التعبيرية:

سميت مدرسة شارل بالي الأسلوبية تسميات عديدة، من ذلك نذكر: الأسلوبية التعبيرية، الوصفية، العامة، أسلوبية الجماعة.

4-1- الأسلوبية التعبيرية: وذلك استنادا إلى فلسفة فنية ترى أن الفن الحقيقي ما هو إلا تعبير الذات عن نفسها، في مقابل نظريات أخرى كالمحاكاة التي ترى أن الفن الحقيقي محاكاة وتقريب للواقع الخارجي، وعلى هذا نرى أن الثانية جعلت الفن موضوعيا، بينما رأت الأولى أمرا ذاتيا خاضعا للفرد.

4-2- الأسلوبية الوصفية أو العامة: تأثرا بأستاذه دي سوسير، والمنهج الوصفي بشكل عام، استمد شارل بالي الأسلوب الأدبي من مجال درسه، حيث رأى أنه أسلوب يخضع للتواضع والقصد والتجميل وذهب يبحث عن نماذج الأسلوب في اللغة الشائعة أو العامية التي يظهر فيها الأسلوب في شكل عفوي، فالوصف العلمي يقتضي أن نرصد الظاهرة كما هي دون تكلف، وهذا ما هو مفقود في الأدب الرسمي أو الفصيح.

4-3- تبعا للتسمية السابقة سميت مدرسة بالي بأسلوبية الجماعة، ذلك أنها تنظر إلى الأسلوب على أنه أسلوب الجماعة اللغوية، وليس كلام الفرد الواحد بخصائصه الذاتية، لذا نجد بالي يبحث في اللغة التي يستعملها: الأطفال، النساء، الرجال، التجار، الفلاحون، فهذه الجماعات أو التصنيفات باستطاعتها مد الأسلوبية بالأسلوب النموذجي العفوي الخالي من أي تكلف.

المحاضرة الثانية

محددات الأسلوب

د.رشيد بديدة

محاضرات موجهة إلى طلبة السنة ثانية دراسات أدبية ونقدية

تمهيد:

ذكرنا في المحاضرة السابقة مصدر الأسلوب، فهناك من يجعل مصدره الأول المبدع أو صاحب النص، وهناك من يجعله ملكا للمتلقي على أساس أن هو الذي يفتح أسرار النص، وهناك من يجعله وقفا على النص وحده دون طرفي الخطاب المرسل والمرسل إليه.

وسنحاول في هذه المحاضرة أن نتعرف على كيفية تشكيل الأسلوب، بمعنى : ما الذي يجعل من شكل تواصلي ما أسلوبا؟ أو بشكل آخر: ما الذي يحدد الأسلوب من عدمه؟

يمكن القول: أن علماء اللغة والأسلوب جعلوا الأسلوب يتشكل بثلاثة كيفيات، هي على التوالي: محدد الاختيار، محدد الانزياح، محدد الإضافة.

1-محددات الأسلوب:

1-1-الاختيار كمحدد للأسلوب:

من خلال التعريفات التي وضعت للأسلوب، يمكن القول أن أغلبها جعلت الاختيار متضمنا في تعريفاتها، أو لنقل: أنها عرفت الأسلوب على أنه اختيار يقوم به المنشئ بناء على دوافع داخلية أو خارجية؛ بمعنى: أن ذلك الاختيار جاء نتيجة تلبية لقصد ما تم تكييفه ليناسب مستوى التلقي لدى المرسل إليه.

فهذا سبيتزر يؤكد على أن الأسلوب إنما هو الممارسة العملية الممنهجة لأدوات اللغة، ومارزو يحدده بكونه موقفا يتخذه المستعمل للغة مما تعرضه عليه من وسائل، ونجد آخر(وهو قابيلانتز) يقرر أن الأسلوب ينطوي على تفضيل الإنسان بعض طاقات اللغة على بعضها الآخر في لحظة محددة من لحظات الاستعمال.

وينبغي لنا أن ننبه هنا إلى أن مبدأ الاختيار غير موقوف فقط على الشكل الفني للخطاب، بل هو قائم وموجود أيضا حتى في الشكل التواصلي العادي أو الاستعمالي؛ إذ هو الوسيلة لخروج اللغة من حيز القوة إلى حيز الفعل.

إذن ما الفارق بين الاختيار في الشكلين؟

إن الاختيار في الشكل الأول وظيفته الوفاء بمهمة واحدة هي التوصيل أو الإبلاغ فقط، بمعنى توصيل قصد المتكلم إلى المتلقي أو إبلاغه في صورة لا تتطلب إلا شيئا واحدا هو السلامة اللغوية، بينما يتجاوز الاختيار في الشكل الثاني مستوى التوصيل والإبلاغ إلى مستوى متقدم، سماه العلماء بمستوى التأثير والانفعال.

في هذا المستوى تكون للخطاب وظيفتان: الوظيفة الأولى هي التوصيل، أما الوظيفة الثانية فهي التأثير في المتلقي، وجعله يصنع رد فعل معين.

مستويات الاختيار:

تتيح اللغة لمستعملها اختيارات كثيرة أو كما يسميها البعض بدائل، وهذه البدائل مقسمة على مستويات عدة هي مستويات اللغة، في ما يلي ذكر للمستويات اللغوية مع ضرب أمثلة للبدائل التي يتوفر عليها كل مستوى:

الاختيارات الصوتية:

يندرج ضمن ذلك: الاختيار حسب صفة الحرف ومخرجه؛ فهناك الحروف المهموسة وهناك المجهورة، هناك الرخوة والشديدة، وهناك المستفلة والمستعلية، وهناك المطبقة والمنفتحة، وهناك الصفيرية، والمنحرفة، والغنة وغيرها.أما من حيث المخرج: فهناك الحنجرية والحلقية والطبقية والغارية والجانبية والذلقية وغيرها

الاختيارات الصرفية:

يشمل المستوى الصرفي أو الاختيارات الصرفية الكلمة وأقسامها: الأفعال، الأسماء، الحروف، العدد: المفرد، المثنى الجمع، الجنس: المؤنث، المذكر، التنكير والتعريف: التعريف بأل، التعريف

بالعلمية، بالإضمار أو الضمير، بالإضافة، بالإشارة، بالموصولية. المكان والزمان:فوق، تحت، قبل، بعد، اليوم، الغد، الأمس.

الاختيارات النحوية أو التركيبية:

ويشمل ذلك : التقديم والتأخير،حجم الجملة: طولها وقصرها، أنواع الجملة: اسمية أو فعلية، إنشائية أو إخبارية: إنشائية: طلبية أو غير طلبية(استفهامية، ندائية، تعجبية)، خبرية: خبر ابتدائي،طلبي، انكاري. الوظائف النحوية: الابتدائية، الخبرية، الفاعلية، المفعولية، الفضلات: الصفة، البدل، التمييز...

الاختيارات المعجمية:

في الاختيارات المعجمية، تتيح اللغة لمستعملها بدائل كثيرة؛ فهناك الكلمات الخاصة بالإنسان أو الخاصة بالحيوان، الطبيعة، الحرب، السلم، الحوار، الخلاف، وغيرها كثير، المجردات، المحسوسات، العلاقات الدلالية بمختلف أشكالها: الترادف، التضاد، الاحتواء....

ضوابط الاختيار:

قسم العلماء الاختيار إلى قسمين:

القسم الأول :

الاختيار المحدود بمقتضيات التعبير الخالصة: هذا الاختيار تابع لمتطلبات اللغة أو لضوابط اللغة، وما تتطلبه من قواعد لحفظ المعنى من الخطأ أو اللبس، من ذلك نجد وجوب تقديم الفعل على فاعله في الجملة الفعلية وتأخيره في الجملة الاسمية، من ذلك أيضا: الجملة التالية: في الدار صاحبها: فلا يجوز تقديم المبتدأ هنا، لأن في المبتدأ ضمير يعود على الخبر لأنه لو تم تقديم المبتدأ هنا لفسد المعنى. ومن ذلك أيضا وجوب تقديم المبتدأ عندما يكون اسما مستحقا للصدارة في الجملة كأسماء الاستفهام والشرط: فلا يجوز مثلا: أن نؤخر من أو ما في المثالين التاليين: المبتدأ حرف استفهام : من فعل هذا؟ المبتدأ حرف شرط : من يجتهد ينجح، لأن في ذلك فساد للشكل وضياع للمعنى.

القسم الثاني:

الاختيار المحدود بمقتضيات المقام أو الموقف: هذا الاختيار تتحكم فيه ظروف عدة أو ما يطلق عليه بالسياقات: ويدخل ضمن ذلك: قصد المتكلم، زمان ومكان الحدث، المناخ، المستوى الاجتماعي والسياسي والثقافي لكل من المتكلم والمخاطب...وغير ذلك كثير.

في هذا المستوى نجد أن المتكلم أو صاحب النص يختار لتوصيل المعنى شكلا معينا من بين بدائل كثيرة كلها صالحة للتوصيل الاستعمالي أو النفعي، ولكنها تختلف في درجة التأثير والانفعال، لتوضيح ذلك نضرب المثال التالي:

محمد نجح – نجح محمد : جملتان نحويتان صالحتان لتوصيل معنى نجاح محمد، ولكن السياق هنا مجهول، لنصنع سياقا معينا:

محمد وحيد لدى أمه
محمد سافر وهو في حالة مرض
المتكلم أراد إخبار أم محمد بنجاح ابنها محمد
زمن الإخبار كان الصباح الباكر
التعجيل بذكر المسرة

السؤال المطروح: هل أيهما يختار المتكلم لتوصيل خبر النجاح: الجملة الأولى أم الثانية؟

فمقتضيات المقام التي هي السياقات المذكورة حددت الاختيار المطلوب الذي هو الجملة الثانية: نجح محمد، فلو ضربنا السياقات المطلوبة عرض الحائط، لفشلت الرسالة اللغوية في تأدية وظيفتها.

1-2-الانزياح كمحدد للأسلوب:

تعريف الانزياح:

الانزياح في اللغة هو زوال الشيء وتنحيه، ويكون بمعنى ذهب وتباعد، أما في الاصطلاح فيعتبر الأسلوبيون أنه كلما تصرف مستعمل اللغة في هياكل دلالاتها أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف انتقل كلامه من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية؛ فإذا قلنا في المثال التالي:(كذبت القوم وقتلت الجماعة) فلا وجود لأي أسلوب، أما إذا قلنا:(القوم كذبت الجماعة قتلت) فقد ظهر انزياح عن النمط التركيبي الأصلي؛ إذ تقدم المفعول الذي من حقه التأخير في الجملتين.

وباستخدام مفهوم الانزياح عرف جان كوهين الأسلوب بأنه نوع من المجاوزة الفردية وقد سمى جاكبسون الانزياح خيبة الانتظار، وذلك من باب تسمية الشيء مما يتولد عنه، فالمتلقي يتوقع أن يستقبل شكلا لغويا معتادا، فإذا بظنه يخيب: ليستقبل شكلا لغويا جديدا غير مألوف، يصنع لديه الشعور الدهشة والإعجاب.

كما يحدد ريفاتير مفهوم الظاهرة الأسلوبية بناء على مفهوم التجاوز، ليرى أنها تجاوز للنمط التعبيري المتواضع عليه، وهذا التجاوز قد يكون خرقا للقوانين، كما قد يكون لجوءا إلى ما ندر من الصيغ.

فشعرية الكاتب-كما يرى كثير من علماء الأسلوب – تأتي من الشيء غير المتوقع، لأن النفس البشرية عادة ما تطرب للأشكال غير الاعتيادية، ذلك أن الشكل المعتاد والمألوف بحكم تكرره وانكشاف أسراره يزول عنه التأثير في المتلقي، لتصبح عملية استقباله فعلا آليا خاليا من أي شعور.

مصطلحات الانزياح: سمي الانزياح بمسميات كثيرة من ذلك: العدول، التجاوز، الانحراف،